في ١ آذار ٢٠٠٧

إلى إخوتي الخمسة

"أنا القيامة والحياة...."

(يو ١١-٢٥)

كلّما قدّرنا آلامنا و أخذناها في العمق، كلّما فهمنا أن الموت هو تقدمتنا النهائية على هذه الأرض، نحن الذين يغمرنا "الكهنوت الملكي". فالموت لنا قمّة الحياة و في نظرتنا اليه نوع من الفرح.

في جمعية الفوكولاري، نراه أحياناً مثل ما كان يراه فرنسيس الأسّيزي : الموت كأخ لنا، و كما كتب البعض: «الموت يعني أن نرى مريم العذراء، أن نرى يسوع المسّيح، طبعاً إذا منحتنا الرحمة ذلك. لماذا علينا أن نغمر ذلك الإنتقال بالحزن حتّى و إن كان قد تمّ إثر معاناة قاسية أكانت طويلة الأمد أم قصيرة، أو إثر تفتّت غشاء حياتنا.»

مَن يرى الموت هو بالأحرى الذي يحيط بالراحل و يشاهده يرحل، بينما قدر الراحل أن يبصر الحياة لأنّ الموت هوعبارة عن لقاء مع يسوع المسيح.

هذه هي حقيقة إيماننا إذ أننا سنستطيع أن نرى يسوع على الفور، ممّا يخفف من آلامنا و يعزّينا للغاية. أما بولس الرسول من حيث رغبته بالرحيل لملاقاة المسيح(فل١-٢٣)، فيشير إلى وجودٍ مع يسوع الذي يأتي بعد الموت مباشرةً من دون انتظار القيامة النهائية(٢قور ٥-٨). فصحيح أن في مكانٍ ما، لا وجود فعلي للموت إذ أنه لقاء مع يسوع المسيح بكل ما للكلمة من معنى.

فلنستعدّ للموت قبل أن يدقّ بابنا و لنتمثّل بيسوع الذي عاش من أجل ساعته. فلكلّ منّا ساعته الخاصة، فلنصلِّ من أجل تلك اللحظة، مثلاً حين نتلو صلاة «السلام عليك يا مريم» مكرّرين بلا انقطاع «صلّي لأجلنا نحن الخطأة الآن و في ساعة موتنا...».

إلّا أننا في نهاية المطاف، سنقوم من الموت لأن يسوع بنفسه قد قام منه. سوف نقوم بفضل القربان الذي غذّى أجسادنا طيلة حياتنا: «من أكل جسدي و شرب دمي، فله الحياة الأبدية و أنا أقيمه في اليوم الأخير.» (يو٦-٥٤). و يسوع هو القيامة بحدّ ذاتها حين قال :"أنا القيامة و الحياة، من آمن بي، و إن مات فسيحيا."(يو١١-٢٥)

فكيف ستكون قيامتنا؟ بجسدنا و ليس بجسد آخر لأن، و كما يقول يوحنا بولس الثاني، كلّ واحدٍ منّا فريد. سنقوم بجسدنا لكنّه سيكون قد تحوّل، وأخذ طابعاً روحياً، تماماً مثل جسد يسوع المسيح. و بإرادة الله سنرى السعادة في الأعالي.

فحين يفارقنا صديق أو قريب، غالباً ما نقول إننا خسرناه. لكنّ هذا التفكير خاطئ، فحياته لم تُنزَع منه، بل تكون قد تحوّلت فقط".